مجلة الدراسات الإسلامية - جامعة كابل
Journal of Islamic Studies - Kabul University
رقم تسجيل المجلة: RCTD GIJR - 0015-25 الرقم الدولي: e-ISSN: 3078-6355

JIS Journal Of Islamic Studies Kabul University e-ISSN:3078-6355

https://doi.org/10.62810/jis.v2i2.220

دور العقيدة الإسلامية في ترسيخ قيم الوسطية والإعتدال في المجتمعات الإسلامية

الملخص: يبرز هذا البحث الدور المحوري للعقيدة الإسلامية في ترسيخ قيم الوسطية والاعتدال داخل المجتمعات المسلمة، باعتبارها المرجعية العليا التي تضبط الفكر والسلوك وتوازن بين متطلبات الروح والجسد، والدنيا والآخرة، وتواجه مظاهر الغلو والتفريط التي تهدد هوية الأمة واستقرارها. واستناداً إلى النصوص القرآنية والسنة النبوية، تكشف الدراسة عن كون الوسطية خصيصة أصيلة ميّزت التصور الإسلامي في جميع مجالات الحياة، وتوضح كيف تسهم العقيدة في توجيه السلوك الفكري والعملي للمسلم عبر بناء منظومة قيمية متكاملة تحفظ التوازن بين العقل والنقل، وبين الثبات على الأصول والانفتاح على معطيات العصر. وتتناول الدراسة قدرة العقيدة الإسلامية على معالجة الانحرافات الفكرية المتمثلة في الغلو الذي يقود إلى التشدد والتفريط الذي يفضي إلى التسيب والانحلال، من خلال ترسيخ أصول عقدية كالإيمان بالتوحيد والقدر والمعاد، باعتبارها ضوابط فكرية وسلوكية تضمن الاعتدال. كما تبيّن أثر الوسطية العقدية في استقرار المجتمعات المسلمة المعاصرة من الناحية الفكرية والاجتماعية والسياسية، حيث تؤسس لثقافة الحوار والتعايش وتحصّن الأمة من الانقسام الداخلي، بما يجعلها أداة فعالة لحماية الهوية الجماعية وصون السلم الأهلي. ولتحقيق هذه الغايات، اعتمد البحث منهجاً تحليلياً للنصوص القرآنية والحديثية ذات الصلة، ومنهجاً وصفياً تحليلياً لرصد تطبيقات الوسطية في التجارب الإسلامية القديمة والمعاصرة، إلى جانب مقاربة تحليلية مقارنة لتشخيص مظاهر الغلو والتفريط واقتراح البدائل العقدية التي تضمن الاعتدال. وتخلص النتائج إلى أن العقيدة الإسلامية ليست مجرد عنصر إيماني فردي، بل إطار شامل ومصدر حضاري يعيد للأمة توازنها الفكري والروحي والاجتماعي، ويمنحها القدرة على الجمع بين الأصالة والمعاصرة في مواجهة تحديات الحاضر والمستقبل.

الكلمات المفتاحية: الاعتدال، العقيدة الإسلامية، الغلو، المجتمعات المسلمة، الوسطية.

الباحثة:

صفاء والشمش، طالبة بسلك الدكتورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة جامعة شعيب الدكالي، تحت إشراف الأستاذ عبد المجيد بوشبكة والأستاذة حنان خياطي – المغرب العربي.

البريد الالكتروني: safaeouchamch@gmail.com

تاريخ المادة:

تاريخ الإرسال: (٠٣ ربيع الثاني ١٤٤٧)

تاريخ الإصلاح: (١٨ ربيع الثاني ١٤٤٧)

تاريخ القبول: (١١جمادى الأول ١٤٤٧)

تاريخ النشر: (٢٩ جمادى الثاني ١٤٤٧)

The Role of Islamic Creed in Consolidating the Values of Moderation and Balance in Muslim Societies

ABSTRACT: This research highlights the pivotal role of Islamic creed in consolidating the values of moderation and balance within Muslim societies, as it constitutes the supreme reference that regulates thought and behavior, harmonizes between the needs of body and soul, as well as between worldly life and the Hereafter, and confronts manifestations of extremism and negligence that threaten the identity and stability of the ummah. Drawing on the Qur'anic texts and the Prophetic Sunnah, the study demonstrates that moderation is an intrinsic characteristic that has distinguished the Islamic worldview in all domains of life. It further explains how creed directs the intellectual and practical conduct of the Muslim through the establishment of an integrated system of values that preserves balance between reason and revelation, and between adherence to foundational principles and openness to contemporary realities. The study also addresses the Islamic creed's ability to confront deviations in thought and practice, whether through excess that leads to rigidity and extremism or through negligence that results in moral laxity and disintegration. It highlights core doctrinal foundations such as belief in God's oneness, divine decree, and the Hereafter as essential safeguards that ensure moderation. Moreover, it illustrates the impact of doctrinal moderation on the intellectual, social, and political stability of contemporary Muslim societies by promoting dialogue and coexistence and protecting the community from internal fragmentation. To achieve these objectives, the research adopts a textual-analytical method for Qur'anic and prophetic sources, a descriptive-analytical approach to trace applications of moderation in classical and modern Islamic experiences, and a comparative analysis to diagnose manifestations of extremism and negligence while proposing balanced doctrinal alternatives. The findings conclude that Islamic creed is not merely an individual matter of belief but a comprehensive framework and a civilizational source that restores intellectual, spiritual, and social balance to the ummah, enabling it to reconcile authenticity with modernity in the face of present and future challenges.

Keywords: Balance, Extremism, Islamic creed, Moderation, Muslim societies.

المقدمة:

تشهد المجتمعات المسلمة في العصر الراهن جملة من التحديات الفكرية والثقافية التي تمس هويتها وتهدد استقرارها الاجتماعي والسياسي والنفسي، وتبرز هذه التحديات بشكل خاص في المجال القيمي والأخلاقي، حيث تتقاطع فيه عوامل متعددة، من أبرزها تنامي نزعات الغلو والتطرف التي تقود إلى التشدد والعنف، بما يهدد السلم الأهلي ويشوه صورة الإسلام الحقيقية، في مقابل انتشار مظاهر التفريط والانحلال والانحراف عن القيم الأصيلة، والتي تؤدي إلى الفوضى الاجتماعية وفقدان المرجعية الأخلاقية والدينية، وتضع الأفراد والجماعات في حالة من الانحلال الروحي والسلوكي. إن هذا الواقع المعقد يجعل قضية الوسطية والاعتدال إحدى القضايا المحورية والملحة في الخطاب الإسلامي المعاصر، فهي تمثل صمام الأمان الذي يحفظ توازن المجتمع ويضمن استقراره، ويشكل إطارا معرفيا وأخلاقيا يوجه السلوك الفردي والجماعي نحو الاعتدال والرشاد. هذه التحديات تجعل قضية الوسطية والاعتدال إحدى القضايا المركزية في الخطاب الإسلامي المعاصر، وتطرح بإلحاح سؤالاً محورياً هو:

إشكالية البحث:

إلى أي حد تسهم العقيدة الإسلامية في بناء منظومة فكرية وتربوية تضمن الوسطية والاعتدال داخل المجتمعات المسلمة المعاصرة؟ وينبثق عن هذا السؤال جملة من التساؤلات الفرعية: ما الأسس القرآنية والنبوية التي تؤصل للوسطية؟ كيف تسهم العقيدة في ضبط الفكر والسلوك الفردي والجماعي؟ وما آلياتها في مواجهة الغلو والتفريط عبر التاريخ والمعاصرة؟ وما أثر الوسطية العقدية في استقرار المجتمعات المسلمة سياسيا واجتماعيا وفكريا؟

أهمية البحث:

تتجلى أهمية هذا البحث من جانب أكاديمي في الإسهام في إثراء الدراسات العقدية وربطها بمقاصدها التربوية والاجتماعية، ومن جانب عملي في تقديم رؤية علمية تساعد على مواجهة الانحرافات الفكرية والسلوكية التي تمزق المجتمعات وتضعف مناعتها الحضارية. وتزداد الحاجة إليه في ظل التحولات الراهنة التي تشهدها الأمة بين تيارات التشدد والعلمنة المفرطة، وهو ما يستدعي العودة إلى المرجعية العقدية بوصفها الإطار القادر على إعادة التوازن.

أهداف البحث:

أهداف البحث فتتمثل في إبراز الأسس العقدية التي تؤطر الوسطية والاعتدال، وبيان أثر العقيدة في ضبط الفكر والسلوك، وتحليل كيفية معالجتها للغلو والتفريط، ثم استجلاء انعكاس الوسطية العقدية على استقرار المجتمعات المسلمة المعاصرة.

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على البحث الوصفي التحليلي، إذ يسعى إلى وصف الواقع الفكري والاجتماعي للمجتمعات المسلمة فيما يتعلق بقيم الوسطية والاعتدال، وتحليل دور العقيدة الإسلامية في ترسيخ هذه القيم. كما يتضمن البحث عنصر الدراسة المستنبطة من النصوص الشرعية والمصادر الفقهية والعقدية، لتقديم استنتاجات علمية دقيقة ومبنية على أسس رصينة.

الدراسات السابقة:

وقد تناولت الدراسات السابقة موضوع الوسطية في سياقات متعددة، فبعضها ركز على البعد الفقهي، وبعضها الآخر على المقاصد أو القيم الاجتماعية والتربوية، غير أن معظمها لم يعط للعقيدة الإسلامية موقعها المركزي في تأسيس الوسطية وضبطها، ولم يربط بشكل منهجي بين المرجعية العقدية والتحديات الفكرية المعاصرة. من بين هذه الدراسات:

١. الأمين، أحمد عبد الصمد محمد. "وسطية العقيدة الإسلامية وأثرها في تحقيق الأمن الفكري". جامعة الحديدة –كلية التربية، اليمن، مجلد ١١، عدد: ١، مارس ٢٠٢٤.

تربط هذه الدراسة بين وسطية العقيدة الإسلامية وتحقيق الأمن الفكري، غير أنها لا تركز بشكل مفصل على كيفية ترسيخ قيم الاعتدال داخل المجتمعات المسلمة من خلال البنية العقدية.

٢. موفق عبد الرحيم "معالم وسطية الفكر العقدي بالغرب الإسلامي". مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، المجلد ٨، العدد ٢، ١٥ ديسمبر ٢٠١٩، جامعة ابن خلدون – تيارت، الجزائر.

عرض الدراسة وسطية الفكر العقدي في منطقة الغرب الإسلامي، لكنها لا تربط هذه الوسطية صراحة بكيفية ترسيخها في المجتمعات المعاصرة أو بمواجهة التحديات الفكرية الراهنة.

٣. علي، حنان عوض إبراهيم. "الوسطية في الإسلام وعلاقتها بالأمن الفكري: دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم". Journal Studi Al-Qur'an، المجلد ١٦، العدد ٢، ٢٠٢٠، جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل، السعودية.

تبين هذه الدراسة أن المنهج الوسطي في الإسلام يرتبط بالأمن الفكري، لكنها أقل من حيث الربط بين العقيدة كمرجعية علمية ومنهجية، وبين قيم الوسطية والاعتدال كممارسات تربوية وسلوكية داخل المجتمعات.

تبين من خلال استقراء الدراسات السابقة التي تناولت موضوع العقيدة الإسلامية وعلاقتها بالوسطية أنّ الاهتمام قد انصب أساسا على بيان المفهوم العام للوسطية وأثرها في تحقيق الأمن الفكري، دون التعمق في تحليل الدور العقدي التأسيسي في بناء قيم الاعتدال داخل المجتمع المسلم. فقد ركزت دراسة أحمد عبد الصمد محمد الأمين (٢٠٢٤) على أثر وسطية العقيدة الإسلامية في حفظ الأمن الفكري، مبرزةً البعد الوقائي للعقيدة في مواجهة الانحرافات الفكرية، غير أنها لم تتناول آليات ترسيخ قيم الاعتدال في الواقع

الاجتماعي. أما دراسة موفق عبد الرحيم (٢٠١٩)، فسلطت الضوء على معالم الوسطية العقدية في الغرب الإسلامي من منظور تاريخي وفكري، لكنها لم تربط هذه الوسطية بالبناء القيمي والسلوكي للمجتمعات المسلمة المعاصرة. بينما ركزت حنان عوض إبراهيم (٢٠٢٠) على العلاقة بين الوسطية والأمن الفكري في ضوء القرآن الكريم، دون أن تبرز بوضوح الأسس العقدية التي تنبثق منها قيم الاعتدال وأثرها في ترسيخها تربويا واجتماعيا.

الإضافة العلمية:

وتأتي الإضافة العلمية لهذا البحث في إعادة تأصيل الوسطية من داخل البنية العقدية نفسها، وربطها بواقع المسلمين الراهن، مع تقديم قراءة تحليلية تستند إلى النصوص القرآنية والحديثية وتستحضر التجارب التاريخية والمعاصرة، بما يسهم في بلورة رؤية جديدة تجعل العقيدة الإسلامية إطاراً شاملاً قادراً على تحقيق التوازن الفكري والاجتماعي والسياسي، وترسيخ قيم السلم والاعتدال في مواجهة أزمات العصر.

محاور البحث:

المحور الأول: الأسس القرآنية والسنة النبوية لمفهوم الوسطية والاعتدال.

المحور الثاني: دور العقيدة في ضبط السلوك الفكري والعملي للمسلم.

المحور الثالث: العقيدة الإسلامية في مواجهة الغلو والتفريط: دراسة تحليلية.

المحور الرابع: الوسطية العقدية وأثرها في استقرار المجتمعات المسلمة المعاصرة.

المحور الأول: الأسس القرآنية والسنة النبوية لمفهوم الوسطية والاعتدال.

تعد الوسطية من أبرز الخصائص التي ميّزت التصور الإسلامي للعقيدة والسلوك، وقد ورد هذا المفهوم في نصوص الوحيين باعتباره مبدأً حاكماً لحركة الإنسان فرداً وجماعة، بما يضمن التوازن بين متطلبات الروح والجسد، والدنيا والآخرة.

أولا: الوسطية في القرآن الكريم:

تعد الوسطية من القيم القرآنية الكبرى التي تشكل مرتكزا لمنهج الإسلام في بناء الإنسان والمجتمع. وقد جاء التأكيد عليها في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[١] وهي آية جامعة تلخص التصور القرآني لمفهوم الاعتدال، إذ تعني"الأمة العادلة الخيار" كما

١ سورة البقرة، الآية : ١٤٣.

ذهب الطبري، أي التي تتوسط بين الغلو والانحلال، وتشهد بالحق على غيرها من الأمم[١]. وبين القرطبي أن الوسطية في معناها الشامل تتجاوز التوسط السلوكي إلى التوازن العقدي والفكري، فهي صفة جامعة تحفظ للأمة نقاء العقيدة ورشد الممارسة[٢].

ومن خلال تتبع الاستعمال القرآني، يمكن القول إن الوسطية ليست مجرد مفهوم أخلاقي، بل هي نسق معرفي ومنهجي يقوم على العدل والتوازن في علاقة الإنسان بربه وبالآخرين وبالكون. وقد طور بعض المفكرين المعاصرين هذا الفهم إلى ما يعرف بـ "الوسطية المنهجية"، أي جعل الاعتدال قاعدة في التفكير والاجتهاد واتخاذ القرار[٣]. ويؤكد يوسف القرضاوي (١٩٩٥) في دراسته الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف أن الوسطية تمثل روح الشريعة ومقصدها الأسمى، لأنها تحفظ على الأمة توازنها بين الثبات والتطور، وبين النص والاجتهاد، وبين المبدأ والمصلحة[٤].

ويبرز القرآن الكريم تطبيقات عملية لهذا المبدأ في مجالات متعددة؛ ففي الجانب الاقتصادي، يأمر بالاعتدال في الإنفاق ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾[٥]، وهو ما اعتبره ابن كثير أصلا في ترسيخ ثقافة القصد، بعيدا عن الإسراف والتقتير[٦]. وفي الجانب العقدي، تبرز الوسطية في التعامل مع قضية الهداية ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[٧] هذه الآية تؤسس لموقف عقدي متزن يبتعد عن الغلو في التكفير أو التفريط في بيان الحق.

أما الدراسات الحديثة، فقد توسعت في إبراز البعد الحضاري للوسطية باعتبارها آلية لبناء السلم المجتمعي وضمان الأمن الفكري. فترى دراسة الشريف (٢٠١٨) أن الوسطية تعد مدخلا لإعادة صياغة العلاقة بين الدين والواقع المعاصر[٨]، بينما يؤكد العزاوي

١الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب(ت٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م، ٢:٨.

٢ القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري(ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ–١٩٦٤م، ٢:١٥٣.

٣ السيد ماجد بن محمد الزهراني، مفهوم الوسطية: دراسة في الاصطلاح والاستعمال الشرعي، *مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية*، المجلد ٢١، العدد ٣، سنة ٢٠٢٤، جامعة الشارقة، ٥٤٣–٥٨٠.

٤ القرضاوي، يوسف، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة الرابعة١٩٩٤م، ٢١–٢٤.

٥ سورة الاسراء، الآية: ٢٧.

٣ ابن كثير، إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الرياض دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م، ٥:٦٧.

٧سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.

٨ الشريف ماجد، ٢٠١٩، الوسطية كأساس منهجي في الفكر الإسلامي: دراسة تحليلية، مجلة البحوث الإسلامية المعاصرة، ١٢(٢).

(٢٠١٩) أنها منهج فكري جامع يربط بين الأصالة والمعاصرة، ويسمح بتجديد الخطاب الإسلامي دون مساس بالثوابت [١]. كما بين عبد الله (٢٠٢٠) في رسالته الوسطية بين النص والتطبيق أن هذا المبدأ يمكن أن يشكل أرضية مشتركة للحوار بين الثقافات في زمن العولمة[٢].

انطلاقا من ذلك، يمكن تعريف الوسطية في القرآن بأنها مبدأ منهجي شامل يرسم للإنسان سبيل التوازن في الفكر والسلوك، ويضبط حركة الحياة بين الثبات على القيم ومواكبة التغير، محققا بذلك عدالة الوجود الإنساني في بعده الفردي والجماعي. فهي ليست مجرد وسط مكاني بين طرفين، بل قيمة معرفية وروحية تمثل جوهر الرسالة الإسلامية، وأساس بناء الحضارة القائمة على العدل والتسامح والرحمة.

ثانيا: الوسطية في السنة النبوية:

جاءت السنة النبوية لتُجسّد مبدأ الوسطية في الحياة العملية، فقد قال النبي: "هلك المتنطعون"[٣] وهو تحذير صريح من التشدد والغلو في الدين. كما ورد عنه قوله: "إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"[٤].

وفي مجال العبادات، أنكر النبي على من بالغوا في العبادة فقال: "أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني" [٥]. ويظهر من هذا الحديث أن الاعتدال مبدأ أصيل في التدين، إذ لا يقبل الإسلام المغالاة التي تُفضي إلى المشقة والتنطع.

أما في المعاملات، فقد قال: "رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى".[٦] وهو توجيه نبوي يرسي قاعدة الاعتدال واليسر في المعاملات الاجتماعية والاقتصادية.

---

١ العزاوي يوسف ٢٠١٩، الوسطية كأساس منهجي في الفكر الإسلامي، *دورية الدراسات الاسلامية*، ١٤(٣).

٢ عبد الله أحمد، ٢٠٢٠، الوسطية بين النص والتطبيق، رسالة الماستر، جامعة الازهر، كلية الشريعة والقانون.

٣ رواه مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعين.

٤ أحمد بن حنبل في مسنده ١:٢١٥، عن عبد الله بن عباس، وأخرجه الإمام نُصَيْر بن موسى النسائي في سننه (حديث رقم ٣٠٥٧) أيضا عن عبد الله بن عباس – وهو حديث حسن.

٥ رواه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح.

٦ رواه البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في البيع والشراء.

ثالثا: تأصيل الوسطية في التراث الإسلامي الكلاسيكي:

لقد أولى علماء الإسلام اهتماما بالغا بتأصيل مبدأ الوسطية في مؤلفاتهم، سواء على المستوى الأخلاقي أو العقدي أو الفقهي. فقد أكد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) أن الفضائل الأخلاقية كلها قائمة على التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، مستشهدا بقاعدة "خير الأمور أوسطها"، مشيرا إلى أن السلوك الفاضل لا يتحقق إلا بالاعتدال والتوازن، وأن الغلو أو التفريط يفضي دائما إلى الانحراف عن الحق[١]. أما على مستوى العقيدة، فقد عرف العلماء الوسطية باعتبارها توازنا شاملا بين طرفي الإفراط والتفريط في جميع أبواب الاعتقاد، بحيث لا يطغى طرف على الآخر، ولا يغلو المسلم في شيء من أصول الدين، ولا يقصر في حقها، بل يسعى لتحقيق التوازن بين الإثبات والتنزيه، والتعظيم المشروع والبراءة من الغلو، والتمسك بالنصوص الشرعية مع العقلانية في الفهم. ويظهر هذا المفهوم أن الوسطية ليست مجرد موقف جزئي من قضية محددة، مثل موقف الإنسان من الأنبياء أو الأولياء، كما يرد أحيانا في بعض الاقتباسات الجزئية، بل هي مبدأ كلي يضبط كل أوجه الاعتقاد والسلوك[٢].

وتؤكد النصوص القرآنية والسنة النبوية أن الوسطية أصل راسخ في التصور الإسلامي، فهي تمثل الضمانة الفكرية والعملية لحفظ المجتمع من الانحراف نحو الغلو أو التفريط. فقد ورد في القرآن الكريم تأكيدات عديدة على التوازن والاعتدال، مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٣]، وهو تعبير صريح عن المركزية التي يجب أن تحتلها الوسطية في حياة المسلم والفرد والمجتمع. كما نجد في السنة النبوية أحاديث تشدد على التوسط في الدين والعمل والسلوك، مما يجعل الوسطية مبدأ شاملا يضبط العلاقات الفكرية والأخلاقية والاجتماعية على حد سواء.

من هنا، يتضح أن الوسطية في الإسلام ليست مجرد مفهوم نظري، بل هي منهج عملي شامل ينظم حياة المسلم في عقيدته وسلوكه وفكره، ويضمن له القدرة على مواجهة التحديات الفكرية والمعرفية المعاصرة دون انحراف أو إفراط، كما يضمن للمجتمع المسلم الاستقرار والتوازن والاعتدال في جميع جوانب الحياة. وبهذا تكون الوسطية، كما يؤكد العلماء، منهجا عقديا وأخلاقيا وسلوكيا متكاملا، يربط بين الفكر والتطبيق، ويحقق التكامل بين النص الشرعي والفهم العقلاني.

---

١ الغزالي، ١٩٩٠، إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٨:٣.

٢يوسف القرضاوي، مفهوم الوسطية في الإسلام، موقع القرضاوي، al-qaradawi.net; مستلهم من مقاطع عامة في مجموع الفتاوى لأحمد بن عبد الحيم، ٣: ٣٧٥.

٣سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

المبحث الثاني: دور العقيدة في ضبط السلوك الفكري والعملي للمسلم:

تعد العقيدة الإسلامية حجر الزاوية في حياة المسلم، فهي لا تمثل مجرد اعتقاد ذهني، بل إطارًا متكاملًا ينظم الفكر والسلوك، ويضبط العلاقة بين الإنسان وربه، وبين الإنسان والمجتمع. فالوعي العقيدي الصحيح يحدد معايير القيم والأخلاق، ويؤطر التصرفات اليومية وفق مبادئ الشريعة، مما يؤدي إلى ضبط السلوك الفكري والعملي، وحمايته من الغلو أو التفريط[١].

أولا: ضبط السلوك الفكري للمسلم:

تعد العقيدة الإسلامية من أهم أدوات ضبط الفكر والسلوك العقلي للمسلم، فهي تشكل المرجعية الفكرية العليا التي توجه الإنسان نحو الحق والاعتدال، وتقيه من الانحراف نحو الغلو أو التفريط، ومن الوقوع في الشبهات أو المعتقدات الزائفة. فالاعتقاد الصحيح ليس مجرد مجموعة من المعتقدات النظرية، بل هو إطار شامل يربط بين التفكير، والعقل، والسلوك العملي، ويحدد القيم الأساسية التي يقوم عليها الفكر المسلم، مثل التوحيد والعدل والحق، وينظم الحرية الفكرية ضمن ضوابط شرعية وأخلاقية.

تنظيم الفكر العقلي: ترسخ العقيدة الإسلامية في ذهن المسلم مفاهيم واضحة عن الكون والحياة والآخرة، مما يعزز القدرة على الفكر الناقد والتحليل الواعي للأحداث والأفكار. فالمسلم المؤمن بالتوحيد، على سبيل المثال، يدرك أن كل ما يحدث في الكون من محن أو رخاء هو جزء من حكمة الله وقدرته، فلا ينجرف وراء الفتن الفكرية، ولا يقبل المعتقدات الزائفة أو التفسيرات المتطرفة. وقد أشار القرضاوي إلى أن: "العقيدة الإسلامية تصون العقل المسلم من الانحراف، وتجعله يقف على الحقيقة دون إفراط أو تفريط"[٢].
ويعزز هذا المعنى ما جاء في القرآن الكريم من التأكيد على التوازن والاعتدال، مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٣] وهو ما يوضح أن الوسطية في العقيدة ليست مجرد موقف جزئي من قضية محددة، بل هي مبدأ شامل يضبط الفكر والسلوك في كل مناحي الحياة.

توجيه النظرية والسلوك العلمي: لا يقتصر ضبط السلوك العقلي على الفكر النظري فقط، بل يمتد إلى ممارسة البحث العلمي والفكري وفق القيم الإلهية. فالوعي بالقيم القرآنية والأخلاقية يجعل الباحث أو المفكر مرتبطا بمبادئ الصدق والعدل والأمانة، بعيدا عن الغش والكذب والتزييف في الفكر والعمل. جاء في القرآن الكريم: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[٤] مؤكدا

١ابن القيم، ١٩٨٧م، مدارج السالكين، دار المعرفة، بيروت،٢ : ٤٥.

٢القرضاوي، يوسف. «الوسطية في الإسلام.. مفهومها ومظاهرها». موقع الشيخ يوسف القرضاوي، نشر بتاريخ ٢٢ نوفمبر ٢٠٢١، الرابط:

https://www.al-qaradawi.net/node/٣٧٩٢

٣سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

٤سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

أن كل نشاط علمي أو فكري يجب أن يكون مرتبطا بالغاية العليا للعلم والخير العام للبشرية، وليس مجرد تحقيق مكاسب شخصية ضيقة.

الوسائل العقدية لضبط الفكر: تسهم العقيدة أيضا في ضبط السلوك الفكري من خلال المقابسات الفكرية المتوازنة: بين الإثبات والتنزيه، والتعظيم المشروع والبراءة من الغلو، والتمسك بالنصوص الشرعية مع استخدام العقلانية في الفهم. هذه المقابسات تضمن أن المسلم لا يميل إلى التطرف أو الانغلاق الفكري، وأنه قادر على معالجة التحديات المعرفية المعاصرة بمنهج وسطي يجمع بين الالتزام الشرعي والمرونة العقلية.

يتضح من كل ما سبق أن ضبط السلوك الفكري للمسلم لا يتم بالقوة أو الإكراه، ولا بمجرد التعليم الأكاديمي، بل يتحقق من خلال التمسك بعقيدة متوازنة شاملة، توفر للإنسان إطارا فكريا وأخلاقيا متكاملا يربط بين النص الشرعي والعقل، بين القيم والممارسة، وبين البحث العلمي والوعي الأخلاقي، مما يعزز الوسطية والاعتدال في الفكر والسلوك، ويجعل الفرد والمجتمع قادرين على مواجهة الأفكار المتطرفة، وتحقيق التوازن والاستقرار في الحياة الاجتماعية والدينية.

ثانيا: ضبط السلوك العملي للمسلم:

إن ضبط السلوك العملي لدى المسلم لا يتحقق بمحض التعليم التقني أو التقيد الطقوسي وحده، بل عبر عملية تركيبية تبدأ بالعقيدة كمصدر للمعنى وتنتهي بسلوك يومي متسق مع ذلك المعنى؛ فالعقيدة الوسطية تمنح الفعل أفقا قيميا واضحا–يربط بين النية والغاية وبين الحرية والمسؤولية – فتتحول العبادات من طقوس خارجية إلى ممارسات ذات أثر أخلاقي ونفسي. هذا الضبط يتم عبر أربعة مسارات مترابطة: أولها التكويني الداخلي (الضمير ورقابة القلب) الذي يجعل المسلم يراقب أفعاله لارتباطها بعقيدته، وليس لخوفه من الرقابة الاجتماعية فحسب؛ ثانيها البعد القانوني–الشرعي والمؤسساتي (العبادات، الحدود، المعاملات) الذي يضبط السلوك الخارجي ويضع معايير واضحة لما هو مباح ومحرم؛ ثالثها الثقافي–التربوي الذي يعمل على تحويل المبادئ العقدية إلى عادات وممارسات يومية عبر الخطاب التربوي والمدرسي والفقهي والمؤسسي؛ ورابعها البُعد المعرفي–الأخلاقي الذي يربط بين العلم والعمل بحيث يصبح الابتكار والإنتاج تحت سقف القيم. عبر هذه المسارات، تمنع العقيدة الوسطية انزلاق الفرد إلى سلوكيات ضارة – كالتطرف العنيف أو الاستعلاء الأخلاقي أو استغلال العلم في الغش–وتكفل في المقابل انخراطه الإيجابي في المجتمع عبر قيم العدل والصدق والتكافل. "والأثر المجتمعي لذلك لا يقتصر على تقليل مظاهر العنف والتكفير فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى صيانة النسيج الاجتماعي من الانقسام الأيديولوجي، إذ أن الوسطية تفضي إلى ثقافة حوارية تمنع احتكار الحقيقة وتخفض لهيب الصراعات التأويلية"[١]. مع ذلك، لا بد من التنبيه إلى أن تحقيق هذا الضبط العملي يواجه عوائق بنيوية: اختلال المؤسسات التربوية والدعوية، غياب منهج تدريبي يربط المعرفة العقائدية بالممارسة العملية، وضغط العولمة الإعلامي الذي يقدم بدائل قيمية سريعة وغير متسقة. لذلك، أرى أن معالجة الضبط العملي تتطلب سياسات تربوية مؤسسية (منها إدماج مناهج الوسطية في التعليم والتدريب التربوي

١ أحمد بن عبد الحليم. مجموع الفتاوى، الرياض: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٩٩٥م. ١٠: ٩٣.

والعلمي)، وإصلاحا خطابيا يعيد قراءة النصوص ضمن مقاصد واضحة، وبرامج ملموسة لتحويل القيم العقدية إلى ممارسات يومية قابلة للقياس والتقييم؛ حينئذ تتحول العقيدة من "معلومة" إلى "قوة فاعلة" تنقذ الفرد والمجتمع من الانحرافات والسلوكيات الضارة وترسخ للاستقرار والاعتدال على مستوى عملي ومستدام.

مواجهة الانحرافات والسلوكيات الضارة: تعد العقيدة الإسلامية الركيزة الأساسية لضبط الفكر والسلوك لدى المسلم، فهي لا تمثل مجرد اعتقاد نظري بل إطار عملي شامل يربط بين العقل والنقل، والفكر والعمل، والهدف والوسيلة. ومن خلال دراستي، أرى أن العقيدة تمنح المسلم وعيا نقديا يمكنه من التفريق بين الحق والباطل، وحماية نفسه من الانحرافات الفكرية والسلوكية، سواء كان ذلك في الغلو أو التفريط في الدين. فقد أشار الغزالي في إحياء علوم الدين إلى أن "الفضائل الأخلاقية تتحقق بالتوسط بين الإفراط والتفريط"[١]، وهو ما يعكس أهمية الوسطية كأساس لضبط الفكر والسلوك، كما أوضح أحمد بن عبد الحليم: أن العقيدة السليمة تجعل المسلم يقف على الحق دون انحراف، وتحصنه من الغلو أو الانغلاق الفكري[٢]. ومن تجربتي الفكرية ومن خلال مراجعة كتب المفكرين المعاصرين، أرى أن الالتزام بالعقيدة الوسطية يمكن أن يجعل الفرد يوازن بين العلم والعمل وفق قيم الإسلام، ويبتعد عن الغش أو الاستغلال الشخصي للمعرفة، مما يخلق مسارا واضحا للفكر المتوازن والسلوك المعتدل. وهنا أرى أن دور العقيدة يتجاوز كونها قاعدة معرفية، لتصبح أداة عملية لحماية الفرد والمجتمع، وتوجيههما نحو الوسطية والاعتدال، بحيث يصبح التفكير مرتبطًا بالقيم، والعمل مرتبطا بالأخلاق، والعلم وسيلة لخدمة البشرية لا للمصلحة الضيقة. بهذا المنظور، يمكنني القول إن العقيدة ليست مجرد محتوى معرفي، بل هي آلية عملية لتحقيق الاستقرار الفكري والسلوكي، وتحصين المجتمع من الانحرافات الفكرية والسلوكيات الضارة.

يتضح أن العقيدة الإسلامية ليست مجرد اعتقاد نظري، بل هي نظام متكامل يضبط سلوك المسلم فكريًا وعمليًا. فهي تحدد معايير التفكير وتوجه البحث العقلي، وترسخ القيم الأخلاقية التي تحكم العلاقات الفردية والاجتماعية. بهذا المعنى، فإن تعزيز الوعي العقيدي لدى المسلم يمثل ضمانة لاستقامة الفكر، وسلامة السلوك، وتحقيق التوازن بين الفرد والمجتمع، وهو ما يضمن تحقيق رسالة الإسلام الوسطية والاعتدال.

المحور الثالث: العقيدة الإسلامية في مواجهة الغلو والتفريط: دراسة تحليلية.

شكل الغلو والتفريط أحد أبرز التحديات التي واجهت الأمة الإسلامية عبر تاريخها؛ إذ يمثل الغلو تجاوزا للحدود الشرعية، بينما يرمز التفريط إلى التهاون والتقصير في الالتزام بأوامر الدين. والعقيدة الإسلامية، بما تحمله من شمولية ووسطية، جاءت لتبطل هذين

١ أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، دون سنة نشر ٣: ٥٨. "يتصرف".

٢ أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٩٩٥م، ٥: ١٥٠.

المسلكين وتعيد التوازن في الفكر والسلوك. ومن هنا تبرز أهمية دراسة هذا الموضوع دراسة تحليلية، للكشف عن كيفية معالجة العقيدة لهذين الانحرافين، والآثار المترتبة على ذلك.

أولا: مفهوم الغلو والتفريط في ضوء العقيدة:

يعد مبدأ الغلو والتفريط من أبرز مظاهر الانحراف الفكري والسلوكي التي عالجها الإسلام في ضوء العقيدة الصحيحة. فـ الغلو لغة هو تجاوز الحد، وشرعا هو المبالغة في الدين اعتقادا أو سلوكا بما يتجاوز ما شرعه الله ورسوله،كالمبالغة في تعظيم الأشخاص أو التشدد في الأحكام والعبادات بما لم يأت به الشرع. وقد نهى القرآن الكريم عن هذا المسلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[١] وفي الحديث الشريف قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إيّاكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"[٢].

إن الغلو في جوهره انحراف في مفهوم التوحيد، إذ يتجه بالمؤمن نحو إضفاء صفات العصمة أو القداسة على غير الله تعالى، أو تحميل النصوص فوق ما تحتمل من تكليف وتشدد، فينتج عن ذلك تضييق على النفس والمجتمع، وظهور اتجاهات متطرفة تشوه صورة الدين وتفرغ العقيدة من مقصدها الرحب القائم على اليسر والرحمة.

أما التفريط فهو النقيض المقابل للغلو، ويقصد به الإهمال في الالتزام بأصول الدين، والاستخفاف بأوامر الله ونواهيه، مما يؤدي إلى انحلال فكري وأخلاقي، وإضعاف الصلة بالله تعالى. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المسلك في قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[٣]، أي غفلوا عن مقتضيات الإيمان والعمل الصالح، فانطمست بصيرتهم، وانحرفت قيمهم. والتفريط كذلك يعبر عن ضعف التصور العقدي في النفس، لأن من لم يوقن برقابة الله واليوم الآخر لا يجد دافعًا لضبط سلوكه أو التزامه.

وتأتي العقيدة الإسلامية لتقيم ميزانا دقيقا بين هذين الطرفين، فهي تضبط علاقة الإنسان بربه من خلال التوحيد الخالص، وتضبط علاقته بالحياة من خلال مبدأ التوازن بين العبادة والعمل، وبين الدنيا والآخرة. فالوسطية في العقيدة ليست مجرد موقف سلوكي، بل هي رؤية معرفية متكاملة تجعل الدين في موضعه الصحيح: عبادة لله وحده، بلا إفراط في التشدد، ولا تفريط في التهاون، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٤].

١سورة النساء: الآية: ١٧١.

٢ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٤٤ :٨٩؛ والنسائي، السنن الكبرى، ٣: ٥٤.

٣ سورة الحشر، الآية: ١٩.

٤ سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

وهكذا فإن الغلو يفضي إلى الانغلاق والتكفير، والتفريط يفضي إلى التمييع والانفلات، وكلاهما انحراف عن جادة الإيمان المستقيم. ومن هنا، فإن ترسيخ العقيدة الوسطية هو السبيل لحفظ التوازن في الفكر والسلوك، وتحصين الأمة من مظاهر الانحراف العقدي التي تهدد وحدتها واستقرارها.

ثانيا: الأسس العقدية لمواجهة الغلو والتفريط:

تمثل الأسس العقدية في الإسلام الركيزة الكبرى لحفظ التوازن الفكري والسلوكي، إذ إن الانحراف عن الفهم الصحيح لهذه الأصول يؤدي إلى أحد طرفي الغلو أو التفريط. ومن أبرز هذه الأسس: التوحيد، والإيمان بالقدر، والإيمان بالمعاد والجزاء، وهي بمثابة منظومة متكاملة تؤسس للوسطية العقدية التي تحفظ العقل والدين من الانحراف.

١. **التوحيد كضابط جامع**: يعد التوحيد أصل الأصول العقدية، وميزان الاعتدال الذي يحفظ الدين من الإفراط والتفريط. فالغلو في التوحيد قد يظهر في صورة تنطع فكري يجعل أصحابه يحتكرون الفهم الصحيح للدين، فيكفرون المخالف أو يتجاوزون حدود النصوص باسم حماية العقيدة، كما فعلت الخوارج حين جعلوا من الذنب كفرا. أما التفريط في هذا الأصل فيظهر في مظاهر الشرك المعاصر، كالغلو في تعظيم الأشخاص، أو إغفال معاني العبودية في واقع الحياة، مما يؤدي إلى إضعاف الشعور بالرقابة الإلهية والاكتفاء بالشكل دون الجوهر. ومن هنا، فإن التوحيد الخالص لله ينتج وعيا عقديا يوحد الفكر والسلوك، فيجعل الإنسان منضبطا بمرجعية إيمانية تنفي عنه التطرف والجمود في آن واحد.

٢. **الإيمان بالقدر**: الإيمان بالقدر يمثل بعدا فكريا دقيقا يضبط العلاقة بين مشيئة الله ومسؤولية الإنسان، وهو من أعقد المسائل التي انحرف فيها الناس بين غلو وجفاء. فالغلاة في الجبرية نفوا عن الإنسان اختياره، وجعلوه مكرها على الفعل، مما أدى إلى تعطيل المسؤولية الأخلاقية، بينما غلت القدرية فجعلت الإنسان خالقا لأفعاله، فأنكروا سلطان الله في الكون. أما العقيدة الوسطية فتقوم على التوازن بين الطرفين، إذ تقر أن للإنسان مشيئة لكنها خاضعة لمشيئة الله، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[١] هذا التوازن يكسب المسلم ثقة في العمل وطمأنينة عند النتائج، فيسعى ويجتهد دون أن يتكبر عند النجاح أو ييأس عند الإخفاق. فالقدر ليس حجة على الكسل، بل باعث على المسؤولية والاعتماد على الله بوعي وإدراك.

٣. المعاد والجزاء: الإيمان بالآخرة يحفز المسلم على الاستقامة، ويمنع الانحراف نحو الغلو الذي يفضي إلى التنطع، أو التفريط الذي يؤدي إلى الغفلة. فالوعي بأن الإنسان محاسب على عمله يحقق الرقابة الذاتية ويضبط السلوك[٢].

---

١ سورة الانسان، الآية: ٣٠.

٢ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٤: ١٥.

فالإيمان باليوم الآخر يمثل البعد الرقابي في العقيدة، إذ يغرس في النفس شعورا دائما بالمحاسبة والرجوع إلى الله. والغلو في هذا الأصل يظهر عند من يغلب جانب الوعيد حتى يصل إلى القنوط من رحمة الله، فيتحول الدين إلى خوف دائم من العقاب، بينما التفريط فيه يتمثل في إنكار الحساب أو الاستهانة بالذنوب، فيغيب وازع الضمير وتنحل القيم. أما المنهج العقدي الوسطي فيوازن بين الخوف والرجاء، فيجعل الإيمان بالآخرة باعثا على العمل الصالح دون إفراط في الزهد أو انغماس في اللذات. وهذا التوازن يحقق الرقابة الذاتية، ويمنح الإنسان وعيا سلوكيا راشدا يربط بين العقيدة والعمل.

إن هذه الأسس الثلاثة، حين تفهم في ضوء مقاصدها العقدية، تنتج فكرا وسلوكا متوازنا، يرفض الغلو باسم الدين، كما يواجه التفريط باسم الحرية أو الحداثة. فالعقيدة الإسلامية في جوهرها ليست نظرية جامدة، بل منظومة إصلاحية تحفظ توازن الإنسان بين العقل والوحي، وبين الإيمان والعمل، وبذلك تسهم في تحقيق الأمن العقدي والاستقرار الفكري داخل المجتمع المسلم.

ثالثا: التحليل العقدي لظاهرتي الغلو والتفريط:

من زاوية **الغلو**: تحليل التجارب التاريخية يكشف أن الغلو غالبًا ما ينشأ من ضعف الفهم الصحيح للعقيدة، أو من المبالغة في جانب واحد من الدين على حساب غيره، كالتشديد في العبادات مع إهمال مقاصد الرحمة والتيسير. وهذا يقود إلى عزلة فكرية واجتماعية، بل أحيانًا إلى العنف باسم الدين[١].

من زاوية **التفريط**: أما التفريط فينشأ من ضعف اليقين بالعقيدة، أو الانبهار بالثقافات المادية التي تقصي الدين من الحياة، فيقع الفرد في استباحة المحرمات والتهاون بالواجبات. وهو مسلك يؤدي إلى الانحلال الأخلاقي والفراغ الروحي.

التحليل المقارن يبرز أن الغلو والتفريط، رغم اختلافهما في المظهر، يشتركان في الجذر العقدي: ضعف الفهم المتكامل لمبادئ الإسلام. ومن هنا كان الحل في تعزيز الوسطية العقدية التي تُعيد التوازن بين العقل والنقل، وبين الدنيا والآخرة.

رابعا: دور الوسطية العقدية في إعادة التوازن:

الوسطية العقدية ليست مجرد خيار فقهي، بل هي أصل ديني يميز الأمة الإسلامية. وتطبيقها يعني أن المسلم يتحرك في دائرة الاعتدال، فيبتعد عن الغلو المفضي إلى المشقة، وعن التفريط المفضي إلى الانحلال. وهكذا يصبح المنهج العقدي الوسط هو الآلية الفعّالة لحماية المسلم والمجتمع من الانحرافات الفكرية والسلوكية[٢].

---

١ أحمد بن عبد الحليم، ١٩٨٧م، الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٣: ١٥٦.

٢ الشاطبي، ١٩٨٥م، الموافقات في أصول الشريعة، دار الفكر، بيروت.

خلصت هذه الدراسة التحليلية إلى أن العقيدة الإسلامية تمثل المرجعية الحاسمة في مواجهة الغلو والتفريط، إذ تمنح المسلم أدوات فكرية وسلوكية تعزز الوسطية والتوازن. والتحليل التاريخي والفكري يبرز أن الانحراف في كلا المسلكين يعود إلى ضعف الفهم العقدي، مما يجعل ترسيخ العقيدة الصحيحة الوسيلة الأنجع للحفاظ على نقاء الدين واستقامة المجتمع.

المحور الرابع: الوسطية العقدية وأثرها في استقرار المجتمعات المسلمة المعاصرة:

تعد الوسطية العقدية من أبرز المعالم المميزة للتصور الإسلامي، إذ تشكّل قاعدة أساسية لحياة المسلم في فكره وسلوكه وعلاقاته الفردية والاجتماعية. فالوسطية في العقيدة ليست مجرد خيار فكري أو اجتهاد فقهي، بل هي "خصيصة جوهرية أضفاها الله على هذه الأمة"، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[١]. ويقرر الخطاب العلمي في الدراسات الشرعية أن الدين يقوم على مبدأ الوسطية، باعتبارها منهجا يوازن بين الغلو والجفاء، الأمر الذي يجعلها قيمة موجهة للفكر والسلوك في آن واحد.

أولا: مفهوم الوسطية العقدية وأسسها:

الوسطية العقدية من المفاهيم المركزية في البناء الفكري الإسلامي، إذ تعبر عن التوازن المنهجي في الاعتقاد بين طرفي الغلو والتفريط، بحيث يعطى كل جانب من جوانب الإيمان حقه دون إفراط ولا تفريط. وقد عرفها الإمام الشاطبي "اباعتبارها التزام المنهج القائم على التوازن في التكاليف والأحكام، بما يرفع الحرج ويحقق مقاصد الشريعة، بعيدا عن الإفراط والتفريط."[٢] كما يبين أبو الحسن الندوي أن الوسطية العقدية هي "الموقف الفكري الذي يجمع بين الثبات على أصول العقيدة والانفتاح على سنن الكون والحياة، دون انغلاق أو ذوبان"[٣]. ومن منظور تحليلي، يمكن القول إن هذا المفهوم يعبر عن رؤية إسلامية متكاملة تنسجم فيها النصوص مع المقاصد، والإيمان مع العقل، والثبات مع المرونة. وقد أشار الإمام الجويني (ت ٤٧٨هـ) إلى أن "العقيدة الصحيحة هي أساس انتظام أمر الأمة واستقامة حالها"[٤]. وهو ما يؤكد أن الوسطية العقدية ليست مسألة جزئية أو مذهبًا فقهيًا فرعيا، بل تمثل الأساس الذي يقوم عليه البناء العقدي للأمة.

---

١ سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (ت ٧٩٠هـ)، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ٨– ١٠ ٢

٣ أبو الحسن علي الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار الهدى، بيروت، دون سنة نشر، ٤٥.

٤ إمام الحرمين الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، دار المنهاج، جدة، ٢٠١٢م، ٣٢.

وتقوم هذه الوسطية على الجمع بين متطلبات الدنيا والآخرة، إذ يأمر الإسلام بالعمل للدار الآخرة دون إهمال نصيب المسلم من الدنيا، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[١] ومن هنا، فإن العقيدة الوسطية تمثل الضابط الذي يحمي المسلم من الانحراف العقدي والفكري، سواء باتجاه الغلو والتشدد أو باتجاه التفريط والانسلاخ من الدين، لتبقى مبدأ موجها يوازن بين الإيمان والعقل، وبين الثبات والتجديد، وبين النص والاجتهاد.

ثانيا: الوسطية العقدية ودورها في الاستقرار الفكري:

تعتبر الوسطية العقدية ركيزة أساسية في تحقيق الاستقرار الفكري للمجتمعات المسلمة، إذ تحصن الفكر من الانحرافات التي تنتج الغلو أو التفريط، وتؤسس لتوازن منهجي يضبط علاقة المسلم بربه وبالناس وبالكون. فالعقيدة الوسطية تنطلق من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٢] أي أمة العدل والاعتدال، كما جاء في تفسير ابن كثير تفسير القرآن العظيم، "فهي تمثل التوازن العقدي الذي يجنب الأمة الإفراط في التشدد والتكفير، أو الانسلاخ من الدين والانحلال القيمي"[٣]. وقد أكد أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) أن صلاح الأمة مرتبط بصلاح عقيدتها، إذ يقول: " إذا استقامت العقيدة استقام أمر الأمة، وإذا فسدت ضلت وانحرفت"[٤]. ويرى أبو حامد الغزالي أن "الاستقامة الفكرية لا تتحقق إلا باعتماد المنهج القائم على التوازن بين العقل والوحي، باعتباره السبيل الضابط للفهم الصحيح للدين، بعيدا عن مسالك الإفراط والتفريط."[٥]

وقد طور عدد من المفكرين المعاصرين هذا المفهوم، حيث يرى يوسف القرضاوي أن الوسطية العقدية "هي الضمانة الكبرى لسلامة الفكر الإسلامي من الانحرافات، وصيانة المجتمعات من التمزق الداخلي"[٦]. كما أشار طه جابر العلواني في كتابه أزمة العقل المسلم إلى أن الاضطرابات الفكرية في العالم الإسلامي ناتجة عن فقدان التوازن العقدي بين الثبات على الأصول والانفتاح على الواقع، وهو ما يجعل استعادة الوسطية ضرورة معرفية وأخلاقية[٧]. وبذلك فالوسطية تنتج فكرا منفتحا قادرا على الحوار والتجديد، وتحول دون احتكار الحقيقة أو تضييق دائرة الإيمان على فئة دون أخرى.

---

١ سورة القصص، الآية: ٧٧.

٢ سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

٣ إسماعيل بن عمر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة الرياض: دار طيبة، ١٩٩٩م، ١: ١٩٠.

٤ أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة، د.ت. ١: ٩٢.

٥ أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، تحقيق: محمد عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ج ١، ص ٤٥–٤٧.

٦ يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف. الطبعة الرابعة. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٢م، ٢١.

٧طه جابر العلواني. أزمة العقل المسلم. الطبعة الثانية. القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩١م. (استنتاج من كتابه).

من هنا يمكن القول إن الوسطية العقدية تمثل الإطار الضابط لاستقرار الفكر الإسلامي، إذ تجمع بين النص والعقل، والوحي والواقع، وتحفظ للأمة توازنها في مواجهة موجات التطرف والانسلاخ، فتغدو العقيدة الوسطية أساسا لوحدة الفكر وتماسك المجتمع.

ثالثا: أثر الوسطية العقدية في استقرار المجتمعات المعاصرة:

إن أثر الوسطية العقدية لا يتوقف عند حدود الفكر الفردي، بل يمتد ليشمل البناء الاجتماعي والسياسي. فالمجتمع الذي يقوم على عقيدة وسطية يكون أكثر قدرة على استيعاب التنوع والاختلاف، ويستطيع أن يحقق توازنا بين الثوابت الشرعية وبين متغيرات الواقع. وهذا التوازن يشكل أساسا للاستقرار الاجتماعي والسياسي.

وقد أشار ابن القيم إلى أن "صلاح العباد والبلاد متوقف على صلاح العقيدة، فإنها أصل الدين وعمود الاستقامة"[١] ومن ثم، فإن الوسطية العقدية تمثل ضمانة للأمن الفكري والاجتماعي معا، لأنها تحصن المجتمع من مظاهر التطرف الفكري من جهة، ومن الانسلاخ العقدي والانحلال الأخلاقي من جهة أخرى.

وفي السياق المعاصر، حيث تواجه المجتمعات المسلمة تحديات متشابكة من علمنة مفرطة وغلو متشدد، تبرز الوسطية العقدية كخيار استراتيجي يحقق التوازن المطلوب. فهي التي تسمح بتحقيق الأمن الروحي، وتعزيز الانتماء الديني، وفي الوقت نفسه الانفتاح على القيم الإنسانية المشتركة.

يتبين مما سبق أن الوسطية العقدية تمثل أحد أعمدة استقرار المجتمعات المسلمة في العصر الحاضر. فهي ليست مجرد نظرية في الفكر الإسلامي، بل منظومة متكاملة تُسهم في حفظ الهوية، وضبط الفكر، وتحقيق التوازن الاجتماعي والسياسي. وإذا كانت المجتمعات التي تفقد عقيدتها الوسطية معرضة للتشظي والصراع، فإن المجتمعات التي تتبناها تنعم بالأمن والاستقرار. ومن هنا فإن ترسيخ الوسطية العقدية ليس ترفا فكريا، بل هو حاجة حضارية وضرورة وجودية للأمة الإسلامية في مواجهة تحديات الحاضر والمستقبل.

رابعا: النماذج العقدية في ترسيخ مبدأ الوسطية:

إن تعزيز البعد العقدي في فهم الوسطية يعد المدخل الأساس لضبط الفكر والسلوك معا، لأن العقيدة الإسلامية تمثل المنظومة المرجعية التي ينبثق منها كل فكر أو موقف أو سلوك في حياة المسلم. فهي التي تحدد نظرة الإنسان إلى الله والكون والحياة، وتضبط حركته بين الخوف والرجاء، وبين العمل للدنيا والاستعداد للآخرة. ومن ثم، فإن الوسطية في أصلها مبدأ عقدي قبل أن تكون سلوكا

١ابن القيم، مدارج السالكين، ١:٧٣.

عمليا. وقد قرر أحمد بن عبد الحليم: أن "دين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه"[١]، وهو تعريف جامع يبرز أن الوسطية ميزان عام يشمل الإيمان والعبادة والمعاملة والفكر.

وتتجلى هذه الوسطية في العقيدة الإسلامية من خلال مواقفها المتوازنة في أبواب الإيمان الكبرى؛ ففي باب الأسماء والصفات، وقف أهل السنة والجماعة وسطا بين المشبهة الذين غلوا في الإثبات، والمعطلة الذين غلوا في النفي، فأثبتوا ما أثبته الله لنفسه من غير تمثيل ولا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[٢]. وفي باب الإيمان، توسطت العقيدة بين الخوارج الذين كفروا بالذنب، والمرجئة الذين أخرجوا العمل من الإيمان، فجعلت الإيمان قولا وعملا يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[٣].

كما تمتد الوسطية العقدية إلى باب القدر، إذ جمعت بين إثبات علم الله الشامل ومشيئته النافذة، وبين إثبات مسؤولية الإنسان واختياره، من غير جبر ولا تفويض، تحقيقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[٤]. وهذه الموازنة الدقيقة في أبواب الاعتقاد تمثل الأساس النظري الذي يضبط الفكر والسلوك، لأنها تغرس في المسلم شعورًا بالحرية المسؤولة والرقابة الذاتية والاتزان النفسي.

ومن هنا فإن كل انحراف فكري أو سلوكي في التاريخ الإسلامي كان في جوهره انحرافا عقديا قبل أن يكون سياسيا أو اجتماعيا، إذ إن العقيدة هي التي تحدد الموقف من النصوص والواقع والآخر. ولهذا أكد المعاصرون كالقرضاوي أن "الوسطية ليست مجرد اعتدال في السلوك، بل هي اعتدال في الرؤية العقدية التي تنعكس على الفكر والمنهج والعمل"[٥].

إن إبراز هذا البعد العقدي في البحث يسهم في بيان أن الوسطية ليست مجرد خلق أو سلوك اجتماعي، وإنما هي نظام معرفي وإيماني متكامل، يحقق التوازن بين النقل والعقل، وبين الغيب والشهادة، وبين الثابت والمتغير، ويجعل العقيدة قوة موجهة تقيم الفكر والسلوك معا على جادة الاعتدال.

الخاتمة:

أفضت الدراسة في محاورها الأربعة إلى أن العقيدة الإسلامية تمثل البنية المرجعية العليا التي يقوم عليها التصور الإسلامي، وأنها ليست مجرد مكون إيماني فردي، بل إطار شامل يوجّه الفكر والسلوك، ويؤسس لاستقرار المجتمعات المسلمة. وقد بيّن المبحث الأول أن العقيدة تُعدّ محدداً أساسياً في ضبط التصورات الفكرية للمسلم، من خلال تقديمها رؤية كونية متكاملة تحفظ للفكر

١ أحمد بن عبد الحليم، العقيدة الواسطية. تحقيق: محمد الزهيري. القاهرة: دار السلام، ٢٠٠٨م، ٤٣.

٢سورة الشورى، الآية: ١١.

٣أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، العقيدة الطحاوية. تحقيق: علي بن عبد العزيز الشبل. الرياض: دار الوطن، ٢٠٠٥م، ٢٧.

٤سورة الانسان، الآية: ٣٠.

٥يوسف القرضاوي، ٢٠١٠م، فقه الوسطية الإسلامية والتجديد: معالم ومنارات. القاهرة: مكتبة وهبة، ص: ٦٥.

الإسلامي انسجامه الداخلي وتقيه من الانحرافات العقدية. كما أبرز المبحث الثاني أن للعقيدة أثراً مباشراً في توجيه السلوك العملي، إذ ينتقل الإيمان من دائرة المعرفة النظرية إلى مجال الممارسة الفعلية، بما يجعل الالتزام العقدي قاعدة لاستقامة الفرد والمجتمع على حد سواء.

أما المبحث الثالث فقد أوضح ـ بمنهج تحليلي ـ أن العقيدة الإسلامية تملك القدرة على مواجهة تيارات الغلو والتفريط، إذ توفر نموذجاً متوازناً يجمع بين الثبات على الأصول الشرعية والانفتاح الواعي على معطيات العصر، وهو ما يجعلها أداة فاعلة في الحد من مظاهر العنف الفكري والتسيب القيمي. في حين كشف المبحث الرابع أن الوسطية العقدية تتجاوز بعدها الفردي لتؤدي دوراً حيوياً في ترسيخ السلم الأهلي وضمان الاستقرار الاجتماعي والسياسي، من خلال تحصين المجتمعات المسلمة من الانقسام الداخلي ومساعدتها على التفاعل الإيجابي مع التحديات الحضارية المعاصرة. وتأسيساً على ما سبق، يتضح أن العقيدة الإسلامية ليست مجرد عنصر من عناصر الدين، بل هي أساس تكوين الشخصية المسلمة، ومصدر تماسك الأمة، وضمانة استقرارها في الحاضر والمستقبل. كما أن النتائج المستخلصة تؤكد أن تعزيز الوسطية العقدية وإعادة تفعيلها في الخطاب الديني والتربوي والثقافي، يمثل مدخلاً ضرورياً لمواجهة التحديات الفكرية والقيمية التي تواجه الأمة الإسلامية، ويسهم في بناء نموذج حضاري قادر على الجمع بين الأصالة والمعاصرة في آن واحد.

نتائج البحث:

١. العقيدة الإسلامية تمثل المرجعية العليا للفكر والسلوك الإنساني، فهي الإطار الذي يوجه حياة المسلم ويوازن بين متطلبات الروح والجسد، والدنيا والآخرة، مما يجعلها أساسا لتحقيق الوسطية والاعتدال.

٢. الوسطية مبدأ أصيل في التصور الإسلامي، أكدته النصوص القرآنية والسنة النبوية، وهي خاصية ميّزت الأمة الإسلامية عن غيرها، إذ تضمن التوازن بين الإفراط والتفريط في الفكر والعمل.

٣. العقيدة تؤدي دورا محوريا في ضبط السلوك الفكري والعملي للمسلم، من خلال ترسيخ قيم العدل والرحمة والاعتدال، وتوجيه التفكير نحو الحق بعيدا عن الغلو أو التسيب، وهو ما يجعلها صمام أمان للفكر والسلوك.

٤. الغلو والتفريط كلاهما ناتج عن ضعف الفهم العقدي الصحيح، فالغلو يتولد من المبالغة في الالتزام دون فهم المقاصد، والتفريط من ضعف اليقين والانبهار بالثقافات المادية، والعقيدة الإسلامية جاءت لتصحيح هذين الانحرافين وتحقيق التوازن.

٥. الوسطية العقدية تمثل ضمانة فكرية واجتماعية لاستقرار الأمة، لأنها تحميها من التطرف الفكري والانحلال الأخلاقي، وتؤسس لثقافة الحوار والتعايش بين مكونات المجتمع.

٦. الإيمان بالتوحيد والقدر والمعاد يشكل أسسا عقدية للوسطية، إذ يربط الإنسان بربه ويمنحه رؤية متوازنة للحياة، ويمنع الانحراف نحو الغلو في الأشخاص أو اليأس من رحمة الله.

٧. العقيدة الإسلامية تملك قدرة إصلاحية شاملة، فهي ليست مجرد إيمان نظري، بل نظام متكامل يعيد للأمة توازنها الفكري والروحي والاجتماعي، ويجعلها قادرة على الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

٨. ترسيخ الوسطية العقدية يسهم في تحقيق الأمن الفكري والاجتماعي والسياسي، عبر بناء وعي ديني معتدل يحصّن المجتمعات من الانقسام والصراع، ويعزز الانتماء والانسجام الداخلي.

٩. تعزيز الوسطية في الخطاب الديني والتربوي ضرورة حضارية، لأن العقيدة الوسطية تمثل المدخل الحقيقي لبناء إنسان متوازن ومجتمع متماسك قادر على مواجهة تحديات التطرف والعلمنة المفرطة.

التوصيات:

انطلاقا من النتائج التي أظهرتها الدراسة حول دور العقيدة الإسلامية في ترسيخ قيم الوسطية والاعتدال في المجتمعات المسلمة، يتضح أن العقيدة تمثل إطارا شاملا يوجه الفكر والسلوك، ويعزز استقرار الفرد والمجتمع على حد سواء. ومن هذا المنطلق، تقدم الدراسة التوصيات التالية لتعزيز قيم الاعتدال الوسطية وتفعيلها على مختلف المستويات:

١. تعزيز الوسطية العقدية في التعليم والخطاب الديني:

إدراج برامج تربوية وتعليمية تركز على قيم الاعتدال والوسطية، تربط بين المعرفة النظرية بالعقيدة والسلوك العملي، لتكوين شخصية مسلمة متوازنة قادرة على مواجهة التطرف والغلو.

٢. تفعيل دور المؤسسات الثقافية والإعلامية:

نشر ثقافة الوسطية والاعتدال عبر وسائل الإعلام والمنصات الثقافية والمجتمعية، مع تقديم نموذج متوازن يجمع بين الثبات على القيم الشرعية والانفتاح الواعي على متطلبات العصر، للحفاظ على الاستقرار الاجتماعي والسياسي.

٣. تشجيع البحث العلمي والتطوير المؤسسي:

دعم الدراسات البحثية حول أثر العقيدة الإسلامية في تعزيز الاعتدال الاجتماعي والفكري، وإنشاء مراكز متخصصة لدراسة الوسطية وتطبيقاتها، بما يسهم في بناء مجتمع متماسك قادر على مواجهة التحديات الفكرية والقيمية المعاصرة.

المصادر والمراجع:

– القرآن الكريم.

– الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.

– ابن القيم، مدارج السالكين، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٧.

– أحمد بن عبد الحليم، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦.

– أحمد بن عبد الحليم، الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

– الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥.

– ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٢.

– الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٠م.

– القرضاوي، يوسف (١٩٢٦–٢٠٢٢م)، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، الطبعة الثانية، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٥م.

– القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م.

– علي بن محمد الماوردي، النُكت والعيون في مسائل الدولة والسلطان، تحقيق محمد مصطفى الفقي، القاهرة: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.

– السيد ماجد بن محمد الزهراني، مفهوم الوسطية: دراسة في الاصطلاح والاستعمال الشرعي، *مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية*، المجلد: ٢١، العدد: ٣، سنة: ٢٠٢٤، جامعة الشارقة.

– ابن كثير، إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الرياض دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م.

– الشريف ماجد، ٢٠١٩، الوسطية كأساس منهجي في الفكر الإسلامي: دراسة تحليلية، *مجلة البحوث الإسلامية المعاصرة*، ١٢(٢).

– عبد الله أحمد، ٢٠٢٠، الوسطية بين النص والتطبيق، رسالة الماستر، جامعة الازهر، كلية الشريعة والقانون.

– العزاوي يوسف ٢٠١٩، الوسطية كأساس منهجي في الفكر الإسلامي، دورية الدراسات الاسلامية، ١٤(٣).

– أبو الحسن علي الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار الهدى، بيروت، دون سنة نشر.

– إمام الحرمين الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، دار المنهاج، جدة، ٢٠١٢م.

– أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، العقيدة الطحاوية. تحقيق: علي بن عبد العزيز الشبل. الرياض: دار الوطن، ٢٠٠٥م.